

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نمن العدد ٢٠ ملياً

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistiqueصاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشؤل

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثالثة عشرة

« القاهرة في يوم الإثنين ١٥ رجب سنة ١٣٦٤ - ٢٥ يونيو سنة ١٩٤٥ »

العدد ٦٢٥

ولم يظهر المعنى الإنساني في رثاء المرأة - حليمة كانت
أو غير حليمة - قبل عهد ابن الرومي الذي قال في بستان المنية :
بستان واحسرتنا على زهر فيك من اللهو بل على ثمر
وقال من القصيدة بينها يذكر وفاتها في ريمان الشباب :
يا غضة السن يا صغيرة أمة أصبحت إحدى المصائب الكبر
ورثي امرأته رثاء يدل على هول الفجعة فيها فقال :
عيني سحا ولا تشحاً جل مصابي عن العزاء
ونظم قصيدة أخرى في مثل هذا الرثاء

وليس بالمسير تحليل هذه الظاهرة الثقافية في جميع الآداب
العالمية ، فإن الأمر مرتبط بإمكانة الزوجة في العصور القديمة ، ثم
في هذه العصور الحديثة . ومما لا اختلاف فيه بين الأمم أن الزوجة
كانت في أقدم العصور كالقنية الملوكة التي لا فرق بينها وبين
الجارية الرقيقة ، ثم ارتفعت مكانتها فظهرت الزوجة ربة البيت ،
ولكنها لم تزل في عرف المجتمع شبيهة من شهوات الضرورة التي
يلجأ إليها الرجل في ساعة ضعفه أو الساعية التي تغلبه فيها الطبيعة
الحيوانية ، ولم تظهر المرأة التي هي « شريكة حياة » ، أو سكن
للرجل كما جاء في القرآن الكريم إلا في العصور الأخيرة ، وإن
كانت لها رائدات سابقات نين بمض الأمر فيما تقدم من العصور
فالشاعر كان يتنزل في المرأة ولا يحتج من ذلك لأن التنزل
منسوب إلى الطرف واللباقة

من وحي المرأة

للأستاذ عباس محمود العقاد

من أعجب ما يلاحظ على آداب الأمم قلة ما نظمته الشعراء
في رثاء النساء ، ولا سيما الزوجات
فقل كثرة النزل في المرأة ترجع إلى شعر الأقدمين والمحدثين
وإلى شعر العرب وغيرهم من الأمم ، فلا نرى في لغة من اللغات
إلا قصائد معدودات في رثاء النساء والزوجات منهن على الخصوص
فليس أكثر مما نظمته الشعراء في التنزل بالمرأة ، ولا أقل
مما نظموا في الحزن عليها
وقد رثي شعراء العربية الأمهات كرتاء المتنبي لجده ورتاء
الشريف لأمه ، ونظموا العزاء في أخوات الأمراء وقربائهم ،
كما نظم المتنبي تلك القصيدة اللامية في رثاء أخت سيف الدولة ،
ولم ينس أن يقول منها :

ولو كان النساء كن قعدنا لفضلت النساء على الرجال
كأنه يعتذر من هذا الشذوذ في قواعد الرثاء بحالة مستثناة لا يقاس
عليها ، وهي حالة هذه السيدة التي تفضل السادة الرجال !
بل وجد في صدر الإسلام من يرثي امرأته معتذراً حيث يقول :
لولا الحياء لها جنى استمبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

ذرية بعدها ، ولا يقال إن الحب العاطفي هو مصدر هذا الوحي ، لأن الحب العاطفي قد يوجد ولا يوجد معه التفاهم في الأفكار ولا التعاون على أعباء الأسرة وشواغل النفوس ، ولكنها المشاركة في الحياة وحدها هي التي يرجع إليها الإيماء بهذين الديوانين ، حين فهم المعركة معنى الزوجية التي تقوم على هذه المشاركة بين حياة إنسانين

والزوجة شريكة الحياة — حياة الأدب على التخصيص — هي التي يقول الأستاذ صدقي في وصفها :

وكنت النني من مشكل بعد مشكل
وعقدت نفس تستديم قلاقل
مشاكل شتى : حاجة النفس للهوى
وحاجة ذي حس ، وحاجة عاقل
جمعت لي الدنيا فأغنيت مُعسدي

وأمتعت محرومي وزيت عاظمي
أو يقول في ذكرياتها من قصيدة أخرى :

وخير رفيق أنت في كل رحلة وخير سفير للحديث بنصد
ونجلس في حضن الطبيعة صمتنا متاجلها — إن الطبيعة معبد
ونجلس للأشجار ندرسها معاً

كأن ليس غير الكتب في البيت مقصد
وقد تكون شريكة حياة ولا يكون قوام المشاركة بينها وبين
قربها طول الشغل بالدراسة والمطالعة ، كما قال الأستاذ عزيز في
قصيدته الدالية في يوم ميلاده :

أقول والقلب في أضلاعه شرق
بالسمع : لا عدت لي يا يوم ميلادي
زلت بي ودخيل الحزن يعصف بي
وقادح البث ما ينفك معنادي
وكنت تحمل لي والشمل مجتمع

أنساً يفيض على زوجي وأولادي
فانظر تر الدار قد هيضت جوانبها
وانظر تجد أهلها أشباح أجساد
فقدتها خلة للنفس كافية تكاد تنفي غناء الماء والزاد
وموتلاً أجد الأمن الكريم به إذا تعاورني باليني حسادي

وكان يرثي أمه أو جدته لأن حب الأمهات والجندات محسوب من البر المشروع الذي لا ضعف فيه
وكان يرثي أمهات الأمراء وقربائهم ، لأن عزاء الأمراء واجب من واجبات المفروضة عليه

ولكنه لم يكن يرثي الزوجة المتوفاة ، لأنها شيء يخصه ولا يفهم معنى الفجعة فيه عند أبناء عصره إلا على معنى الضعف الذي لا يجعل بالرجال ، وكيف كان يحمل بهم أن يتفجعوا على الزوجة الفقودة ، وقد كانت زيارة قبرها مما يحتاج إلى اعتذار ؟

ولا شك أن آداب الأم هي خير مسجل لأخلاقها الاجتماعية سواء تعمدها الشعراء أو لم يتعمدوها

فن الظواهر الحديثة التي تسجل في الأدب العربي — أو الأدب المصري — أن الزوجة « شريكة الحياة » تمثلت في شعرنا المصري تمثلاً واضحاً بليغاً صادق المدلول ، لأننا قرأنا في سنوات متقاربات ديوانين كاملين في رثاء الزوجة الفقيده ، وكلاهما لم يكن ظهوره بالفهم قبل هذا الجيل ، لأن وجود شاعرين اثنين يسيان لذكرى فقيدتهما لا يكفي لإظهار ديوانين في هذا المعنى ، ما لم يكن هذا المعنى ملحوظاً مقدراً عند الكثيرين من أبناء الجيل الذي ينشأ فيه

قرأنا بالأمس ذلك الديوان الحزين الذي نظمته الشاعر المطبوع الأستاذ عزيز أباطة بك وسماه « الأنات الحائرة » ، لأنه أقوى من أن يسمى بالدموع

وقرأنا هذه الأيام ديواناً آخر في هذا المعنى للشاعر الأملئ الأستاذ عبد الرحمن صدق سماه « من وحي المرأة » ، لأنه لم يكن إلا وحيًا فاض به حزنه على فقيدته العزيزة ، فخرج في جلته منظوماً كأنه لا يحتاج إلى ناظم ، وجاء فيه بقصائد ومقطوعات سبق في عداد الشعر الخالد ، سواء منه ما نظم في هذا الموضوع أو غير هذا الموضوع

ويدل على أن ظاهرة الزوجة شريكة الحياة هي الباعث على نظم هذين الديوانين أنهما قد نظما في زوجتين لا تجمع بينهما صفة تميزها غير صفة المشاركة في الحياة ، فلا يقال إن القرابة هي باعث ١. ثناء ، لأن إحدى الزوجتين أجنبية عن البلد فضلاً عن الأسرة ، ولا يقال إن الذرية هي علة الإعزاز ، لأن إحدى الزوجتين لم تنجب